لغة النص الحسيني الرثائي وأثرهُ في نهضة المجتمع
السيد حيدر الحليّ أنموذجاً

مقدّم من قبل

م. د. خلود هاشم جوحي الوائلي

وزارة التربية /مديرية تربية بغداد /الكرخ الثانية

قسم الإعداد والتدريب / شعبة البحوث والدراسات

The language of the Al-Hussaini elegiac text and its impact on the revival of society, Mr. Haider Al-Hilli is a model

M. Dr.. Kholoud Hashem Jouhi Al-Waeli

ABSTRACT

The poems of Mr. Haidar al_ Hali, whith the topic of Imam Hussein peace be upon him and his great rise , have been a historical ,spiritual ,social ,ideological and communicative dimension that has maintained its presence despite the succession of political and social times and events. In particular ,the Husseiniya issue has spread its presence on a large area of Arabic poetry. the most poems that have dug a strong place in the memory of the recipient ,we find the Al _ Hussein bright in it and the depth of the Husseini issue and the richness of its dictionary , which is

Inspiring for every new book in which provokes the feeing and conscience Karbala and the events of the afternoon saga in the tenth of AL _Muharram inspiration the history of mating between the past and the present formed a point that lit up and illuminated the dimensions of this timeless renaissance, especially that the recall of its treasures exceeds the concept of heritage in terms of aesthetic values and values because they collectively constitute a literary epic that derived its strength from the presence of its heroes on the ground. its surrounded by all the dimensions that extend the fabric of the saga to the life and soul of what surrounds that symbol with a holy aura so the Hussaini literature did not execute novelty and originality at all times and places

Key words: the poetic language, the Hussaini lament, the Hussaini text, the poems of the poet

خلاصة البحث:

شكّلت قصائد السيد حيدر الحلي التي تناولت موضوع الإمام الحسين ونهضته العظيمة بُعداً تاريخياً وروحياً واجتماعياً وعقائدياً وتواصلياً ظلَّ محافظاً على ألق حضوره على الرغم من تعاقب الأزمنة والأحداث السياسية والاجتماعية، ولاسيّما قد بسطت القضية الحسينية حضورها على مساحة كبيرة من الشعر العربي ؛ بل يُمكن القول قطعاً إنَّ أكثر القصائد التي حفرت لها مكاناً قوياً في ذاكرة المتلقي نجد للذكر الحسيني سطوعاً فيها، وذلك لعمق القضية وثراء معجمها الذي يعدُّ ملهماً لكل جديد كتابي فيها يستفز الشعور والوجدان، فلكربلاء وأحداث الظهيرة الملحمة في العاشر من محرم موحيات تُغري بمصادرها، إذْ شكّلت لحظة التزاوج الزمني بين الماضي والحاضر نقطة أضاءت وتضيء أبعاد هذه النهضة الخالدة. ولا سيّما أنَّ استذكار كنوزها تتجاوز مفهوم التراث بموضوعاته وقيمه الجمالية ؛ لأنَّ بمجموعها تؤلف ملحمةً أدبية خالدة استمدّت قوتها من وجود أبطالها على أرض الواقع، فضلاً عن أنَّ رمزية الحسين _عليه السلام _ذاتها مكلّلةً بكل الأبعاد التي تمدُّ نسيج الملحمة بالحياة والروح، لما يحيط ذلك الرمز بهالة مقدّسة، لذلك لم يعدم الأدب الحسيني الجدّة والأصالة في كل زمان ومكان.

الكلمات المفتاحية: اللغة الشعرية، الرثاء الحسيني، النص الحسيني، قصائد الشاعر

المقدمة:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد الأمين، وعلى آل بيته الميامين، عليهم صلاة الله وسلامه أجمعين.

أما بعد... كثيرةٌ هي الويلات التي حلَّت بالعراق منذ احتلال المغول لبغداد سنة 656هجرية وحتّى سقوط الدولة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى سنة 1917ميلادية، إذْ أصبح العراق مكبلاً بقيود التخلف السياسي والاجتماعي والثقافي، ويعدُّ القرن التاسع عشر من القرون الحافلة بكثير من الأحداث في تاريخ العراق، وما رافق تلك الأحداث من صراعات وكوارث كان لها التأثير البالغ في الحياة الأدبية بصورة عامة. وليس هذا فحسب فصفحات التاريخ الإنساني الأولى تشهد نضال، وجهود شخصيات قديرة وكبيرة تناولت مقبض السيف وضحّت بأرواحها وأبنائها في سبيل الحفاظ على القيم الإنسانية، ومكافحة الأوضاع الدينية والأخلاقية المتردية ومعالجتها، والتاريخ خير شاهد على ذلك، فهو صفحةٌ كبيرة مفتوحة أمام صفحة المستقبل المطوية، وعبر هذه الصفحة المفتوحة، ينبغي فتح ذلك القسم المطوي، وتحديد معالم مسيرة المستقبل، وتعلم دروس كثيرة من سيرة الماضين. فواقعة كربلاء تعدُّ حدثاً تاريخياً انماز بالأصالة والتفرد، فقد ضمَّ مواقفاً وأحداثاً وشخصيات سمت بفعلها الملحمي، وروحها المقدّسة، وشرفها الأصيل ؛ لتجسد تطلعات الأمة في حياة حرّة كريمة، ومنذ القدم وجد الشعراء في ذلك الحدث منطلقاً لتغيير واقعهم، وإعادة تشكيلهُ، فعبّروا عبره بقصائد ومقطوعات، انماز كثيرٌ منها بصدق العاطفة، وحرارة الإحساس، ووضوح الرؤية، فتواصل النتاج الشعري منذ زمن الواقعة حتّى يومنا هذا حاملاً ألمع الإبداع الشعري، لذا خصصتُ هذا البحث لدراسة موضوع من موضوعاته ورمز من رموزه الأدبية بعنوان (لغة النص الحسيني الرثائي وأثرهُ في نهضة المجتمع... السّيد حيدر الحلي أنموذجاً) للبحث عن الطرائق المتنوعة التي انطلق منها الشاعر في بيان هواجسه، وأحزانه معبراً عن عمق المأساة التي أحدثتها الفاجعة، وهو بقدرٍ ما يبحث عن أغراض جديدة للرثاء، فأنّهُ يتوّج هذا الرثاء بالإصرار على الانتصار للشهيد المظلوم الذي سفك دمهُ ودماء آل بيته بمشاهد من القسوة المروّعة التي أيقظت مضجع الشاعر، فأحالتها إلى صرخات، ودعوات إلى الثأر من سفك دماء الشهيد المظلوم من أجل الإصلاح، وإقامة دين الله تعالى، فهي مسوغات الشاعر الذي جعل من قصيدته متنفّساً يُبيح ما تعتلج روحهُ من فواجع أحداث الطّف، ولم يجد الشاعر سوى أمل الثأر المأخوذ، ولو بعد حين على يد الإمام الحجة _ عليه السلام_ للنهوض بثورة عارمة تلحق الهزيمة ببقايا فلول الأمويين. فلغة الشاعر الحلي انطلقت من فلسفة النهوض الثوري، والبناء الايجابي لمجتمع إنساني متكامل تضمن فيه الحقوق، وتُراعى فيه المبادئ، ويبدو الأثر الديني الإسلامي واضحاً في ثقافته فأخذ ينحو منحى القدماء في ألفاظه وتراكيبه، ويغرف من هذا المعين الثّر الفياض الزاخر بالكثير من المعاني، والصور، والمشاعر التي عبّرت عنها هذه اللغة بكل أمانة، ودقة، واقتدار، فضلاً عن المساجد، ومعاهد التعليم التي قادت الحركة العلمية في ذلك العصر، مما طبع عقلية الشاعر بطابع إسلامي، فاللغة هي أداة الشاعر وسلاحهِ الذي يقتحم به العوالم الخفية من المعاني، والمشاعر، والرؤى، ويحقق ما يطمح إليه من أحلام وآمال. وانطلاقاً من هذه الحقيقة تضافرت هذه الأسباب لاختيار هذا الموضوع بدءاً بالمقدمة، والمحور الأول: الذي تضمّن تجربة الشاعر ولغته، وتناولتُ فيه، أولاً: السّيد حيدر الحلي ومكانته بين شعراء عصرهِ، وثانياً: لغة الشعر ومقوماتها وخصائصها. أما المحور الثاني: التوظيف الشعري للغة النص الحسيني الرثائي، فتضمن ظاهرتين هما: أولا . التوظيف الشعري في مستوى المفردة، والتوظيف الشعري في مستوى الجملة، والمحور الثالث اعتمد أنماط صياغة المعنى في النص الحسيني الرثائي وأثرها في نهضة المجتمع، وتناول أولاً الوظائف والأداء في قصائد السيد حيدر الحلي كالوظيفة النفسية، والوظيفة العقائدية، والوظيفة السياسية والاجتماعية، وثانياً: المستوى البياني في النص الحسيني الرثائي للشاعر وبعدها ختمتُ البحث بمجموعة من النتائج كانت مسك الختام، وخلاصة باللغتين العربية والإنكليزية.

المحور الأول . تجربة الشاعر ولغته

أولاً: السّيد حيدر الحلّي ومكانته بين شعراء عصره.

هو السّيد حيدر الحلي بن سليمان بن داود بن سليمان الكبير بن داود بن حيدر.... بن زيد الشهيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم _ سلام الله عليهم _ [1]، وهو أحد أعلام أسرة آل سليمان في الحلة،

الذي رفع لواءها السّيد سليمان الكبير بن داود بن حيدر الحلي النجفي الحكيم، بعد أن استوطنها عام (1175هجرية) قادماً إليها من النجف الأشرف مع عائلته بعد إكمال دراسته فيها وتمكنه من دراسة علم الطب[2]. وقد ولِد السّيد حيدر في الحلة في قرية بيرمانة عام (1831م) وتُوفي فيها سنة (1886م أو1887م) ودُفن في النجف الأشرف[3]، وهو من أسرة شعراء جُلّهم[4]. وقد تزامنت سنة ولاته مع حدثين مهمين: الأول انتشار مرض الطاعون في العراق سنة (1831م)، إذ اجتاح هذا المرض مدينة الحلة، وقد فتك بأكثر سكانها، ويعدُّ أفظع وباءً شهدهُ العراق، والحدث الآخر حدثٌ سياسي تزامن مع سنة ولادة السّيد حيدر الحلي، وهو انتهاء حكم المماليك[5]. ونشأ السيد حيدر الحلي يتيماً فكفلهُ عمُّهُ السّيد مهدي بن داود العالم والأديب فدرّسهُ علوم اللغة والأدب والدين، وأحسن معاملته طوال حياته فشبَّ في كنفه وتربّى في حجره حتّى صار شاعرا وأديباً مؤلفاً ومصنّفاً[6]، فحفظ لهُ هذا الجميل حتّى إذا ما تُوفي وقد رثاهُ رثاءً صادقاً ينمُّ عن الأسى والحزن واللوعة إذ يقول فيه[7]:

أ ظُبَى الرَّدى انصلِتِي وهَاكَ وَرِيدْي ذَهَبَ الزَّمانُ بِعُدَّتي وَعَديدي
نشَبَتْ سِهامُ النّائباتِ بِمُقْلَتِي فَلِحفظِ مَاذا أتَّقي عَنْ جِيدي
طرقتني الدُّنيا بِأيِّ مُلمَّة ذَهَبتْ عَلَيَّ بِطارِفي وَتَليدي

وفي هذه الأجواء نشأ السيد حيدر الحلي متميزاً بالشهامة،والوقار، والعلم، والتُّقى، وكثرة التأمل والنظر في أشعاره، وقد نظم في جميع الأغراض الشعرية ؛ إلا أنهُ فاق شعراء عصرهُ في شعر الرثاء الحسيني، إذ عُرِف أنّهُ من أصحاب الحوليات، فكان لا يذيع شعرهُ إلاّ بعد مرور حولٍ كاملٍ أو أكثر ؛ لأنهُ كان يستمر في تنقيحهُ والاعتناء بهِ، وقد شبهه الشيخ محمد علي اليعقوبي بالشاعر زهير بن ابي سُلمى ؛ لأنّهُ كان يدقق في قصائدهِ مرات كثيرة قبل نشرها[8]، وقد ترك ثلاث وعشرين حولية، وهي في مراثي أهل البيت النبوي . عليهم السلام . فعظم الآلام في نفس حيدر الحلي وحزنه على فجائع أهل البيت . عليهم السلام . جعلت جلَّ أشعاره فيهم تبدو منتزعة من قلبه، فكأنهُ ينظمها لؤلؤاً في جيد الخلود شعراً تبقى ما بقي الشعر والأدب فتتناقلهُ الأجيال، وترددهُ الخطباء، فكان حقاً يُشهد له البنان بالشاعرية والزعامة الأدبية وذلك لأسباب هي[9]: أُسرته وما احتضنت من شعراء وأدباء وخطباء، وأستاذهُ وعمّه السّيد مهدي الحلي الذي درس على يديه علوم اللغة والأدب، وفن القول فضلاً عن ذلك نشأته في بيئة علمية وأدبية تزخر بالعلماء والأدباء أمثال السّيد صادق الفحّام (ت1789م) والسّيد مهدي القزويني جعلتهُ يعكف على دراسة الموروث الأدبي القديم مثل ديوان أبي تمام، وديوان البحتري، وديوان المتنبي، وديوان ابن هانئ الأندلسي، وديوان الشريف الرّضي، وديوان مهيار الديلمي، وديوان الشريف المرتضى، وتنافسه مع شعراء عصره أمثال عبد الباقي العمري، و عبد الغفّار الأخرس، والسّيد محمد سعيد الحبوبي. بالإضافة إلى عامل أكثر حضوراً في شاعرية السيد حيدر الحلي وهو الشعور بالظلم، والدعوة إلى الثورة على الواقع المتخلف ولّد لديه خيالاً خِصباً، وخلق منهُ شاعراً مصقول الموهبة. وقد ترك السيد حيدر الحلي تراثاً أدبياً بديعاً فضلاً عن ديوانه مؤلفات مهمة أُخر هي [10]: العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثل: وهو كتاب أدبي ممتع يحوي على النكت الأدبية، وأخبار الأدباء والشعراء، وكتاب الأشجان في مراثي خير إنسان: (مخطوط) فيه مجموعة من المراثي، وكتاب دمية القصر في شعراء العصر: (مخطوط) أيضاً جمع فيه ما نظمهُ نيف وثلاثون شاعراً من شعراء العراق في القرن الثالث عشر، وأدرج فيه بعض المقطوعات الشعرية لنفسه. وأمام هذا التراث الزاخر بالعلم والأصالة للسيد حيدر الحلي تشهد لهُ البنان بالريادة والشاعرية.

ثانياً: لغة الشعر مقوماتها وخصائصها

للغة شأنٌ عامٌ في حياة الفرد ضمن المجتمع، وهي نظامٌ أولي قائم قبل الفرد، لهُ مقوماته الخاصة التي تحكمهُ، وما أن يوظف الفرد هذا النظام حتّى يضفي عليه شيئاً من ذاتيته الفردية محوّلاً إياه بذلك إلى كلام، ومعلناً في الوقت ذاته سيطرته على وسيلة الإبلاغ في العملية الإدراكية [11]. ولاسيّما أنّ الألفاظ تحمل دلالات وجدانية وانفعالية نابعة من قرارة نفس الشاعر المستقرة أو المضطربة، والتي تفرض عليه مجموعة من الألفاظ والدلالات الشعرية، وللغة الشعرية الدور الإيجابي في التوجيه فكراً وتأثيراً، كما أنَّ للفكر فاعليته الرئيسة في توجيه اللغة وإعادة تشكيلها[12]. وعلى الشاعر تقع مسؤولية التذوق لشبكة ألفاظه التي ينتقيها تبعاً

لتجربته الشعرية سواء بطريقة واعية أم غير واعية، فيظهر البراعة في توظيفها السياقي فـ (تركيب الألفاظ واستعمالها في سياق التعبير الأدبي خاصية فنية حيث أنّ القيمة الذاتية للفظ تكتسب أهميتها من خلال اتساقها، وتلاؤمها مع سائر الألفاظ، فتكسب الكلام نغماً تهشُّ لهُ النفوس)[13]، ولغة الشاعر هي مصدر الإبداع ؛ لأنَّ وسيلتها ليست نقل الأفكار فحسب ؛ بل هي خلق فني، وإبداع يتوقف على استثمار اللغة بكل طاقاتها، أو مكنوناتها ؛ لتثير بها الأحاسيس الكامنة في أعماق النفوس[14]. فاللغة بهذا المعنى ليست مجرد أداة للتعبير عن المعرفة ؛ بل هي أداة الشاعر الوحيدة والمهمة في التعبير عن العالم بصورة فنية، وإذا ما صار الفرد إلى توظيف اللغة للتعبير عن انفعالاته وعواطفه، نراه يحملها على التعبير عن أكثر من مستوى، فهي وسيلة الإيصال، وهي غاية الإبداع وثمرة الخلق الفني عندئذٍ تمتزج الوسيلة بالغاية وهذا ما يجسدهُ عمل الشاعر، فهذه اللغة يكون همُّها الأول إظهار الصراع بدرجات متفاوتة بين ذات الشاعر وتجربته، ورؤيته للحقائق وانفعاله معها، وعلى هذا فالقصيدة كشفٌ لغوي عن انفعال الذات الشاعرة، يسعى لإظهار الصراع على وفق مستوياته كلها، فقيمة الشعر تتوقف على ما يستطيع مبدعه أن يبعثهُ فيه من الجمال عبر تصويره لانفعالاته، وهو بذلك يتمكن على نحوٍ خفيٍ من أن يظهر جمال اللغة ذاتها، والذي قد لا يفطن لهُ المتلقي، ومن هنا كانت تسميتهُ بالشاعر، فهذا الفرق بين ما هو كائن مسبقاً (اللغة) وبين ما هو إبداع ذاتي (الشعر) هو الفارق الرئيس بين الشعر الخالد والنظم المصطنع، ولم يكن الشاعر أن يرقى إلى التعامل مع هذا الواقع فنياً بسهولة ويسر، بعد أن تجذّر الموروث، وأصبح لهُ من القوة عند المتلقي ما جعل الشاعر المبدع لا يقوى على الخروج عنهُ، والشاعر السّيد حيدر الحلي جزءٌ حي في هذا المجتمع، وزادت طبيعة حياته، وصدق تجربته المذهبية في عمق هذه المفارقة بين الحفاظ على الموروث، ومحاولة النسج على منواله، وبين تصوير تجربته السياسية تصويراً طبيعياً، وبهذا مثّل ديوان السيد حيدر الحلي سجلاً تاريخياً دقيقاً ومهماً تبيّن عبره كيفية تطور الشعر العربي في منحاً من مناحيه _ الشعر السياسي . بين النموذج الموروث لقصيدة الرثاء الحسينية، والقصيدة السياسية المنطلقة عن فكرٍ واعٍ، وسأبحث ذلك عبر تتبع دراسة النص ودلالة ألفاظه.

المحور الثاني:التوظيف الشعري للغة النص الحسيني الرثائي، للسيد حيدر الحلي

ثبت مما تقدّم أنَّ اللغة هي الأداة الإبداعية للشاعر، فضلاً عن أنّها المادة الأساس للأدب[15]، وتكمن إبداعيتها عندما يحرفها الشاعر عن مسارها العام، ويوظفها في سياق فني تتنوع درجاته بحسب إمكانية الشاعر الفنية وثقافته بهدف جمالي مؤثر وسط إيحاء التصوير، والنغم الموسيقي، ومن هنا كانت لغة الشاعر لا تختلف عن اللغة الاعتيادية بألفاظها وأصواتها ودلالاتها، وإنما يكمن التمييز في طريقة التوظيف وعلاقة الألفاظ مع بعضها، وهذه هي براعة الشاعر وذوقه الإبداعي في الوصول إلى ما ينشد إليه. لذا يمكن دراسة التوظيف الشعري للغة النص الحسيني في شعر السيد حيدر الحلي عبر الظواهر الآتية:

أولاً: التوظيف الشعري في مستوى المفردة

للفظة في المعجم العربي معنى محدد تشير إليه، ويمكن أن يفهمه عامة الناس، وفي الوقت نفسه لا تخلو الكلمات من إمكانية التوسع في المعاني عن طريق المجاز والتشبيه، والاستعارة[16]، فالشاعر يتعامل مع اللغة ككائن حي، فيسبغ على الألفاظ قيم إيحائية، وإمكانيات تعبيرية وسط الحالة النفسية التي يمرُّ بها عبر تجربته الشعرية فتتنوع بتنوع الموضوع الذي يعالجه، والشاعر حيدر الحلي شأنه شأن جميع الشعراء، فهو ابن عصره يتأثر بما يدور حوله، وتؤثر فيه شتّى التغيرات السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية، وكان لا بُدَّ أن تترك هذه التغيرات آثارها في شعره، ولذا حاول الشاعر أن يتخذ موقفاً وسطاً بين الدعوة إلى إحياء التراث العربي، ومواكبة الألفاظ الحديثة التي عاصرها الشاعر، فمصادر لغته استوحاها من القرآن الكريم، والتراث الشعري القديم، فأخذ ينوعها بتنوع الموضوع الذي يعالجه، فضلاً عن فصاحة الألفاظ، وقوة التركيب، وبديع الصّنعة، واللغة الرصينة المنسجمة، فكان حقاً السّباق المُجلي، والمجدد الأول في طور الرثاء فسُمّي بناعية الطّف[17]، وقد وصفهُ الدكتور أحمد الوائلي بأنّهُ: ((استأثر بقصب السّبق، وتميز ببصمات أعطت شعرهُ وجهاً خاصاً، ونبرة لا تخطئها الأذن إذا سمعتها))[18]. ولاسيّما إذا كانت في موضوع الحزن على الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) فغالباً يختار من الألفاظ اللين الرقيق، كقوله[19]:

كَم ذا تُطارحُ في منًى وَرقاءَها خَفِّضْ عَليكَ فليسَ داؤُك داءَها
أتظنُّها وَجدَتْ لِبَينٍ فانبَرَتْ جَزَعاً تبُثُكَ وَجدَها وَعناءَها
فَحلَبَتْ قَلْبَكَ مِنْ جفُنِكَ أدْمُعاً وَسَمَتْ كَرَبعِيّ الحَيا جَرْعاءَها
هيهات ما بنتُ الأراكةِ و الجَوى نَضْجُ الزَّفيرِ حشَاكَ لا أحشاءَها

يجد القارئ لهذا النص صوت الشاعر الواضح عبر لهفته وحسرته لما أصاب الحسين . عليه السلام . يوم الطّف، والذي اتّسم بلغة خطابية هادئة وسط أسلوب تقليدي واضح للوصول إلى أداء جمالي عالٍ ؛ بيد أنَّ هذا الجانب يختلف حينما يكون الشاعر في موضع ذمّ الأعداء وهجائهم، أو حينما يستنهض الشاعر بالإمام الحجّة . عجّل الله فرجه . فيجد القارئ الألفاظ تتصارع قوةً وجزالةً، من ذلك قولهُ في هجاء بني أمية[20]:

أُميَّةُ غُوري في الخُمُولِ وأنْجِدي فَما لكَ في العَلياءِ فَوزَةُ مَشْهَدِ
هُبُوطاً إلى أحسابِكُم وانخفاضِها فَلا نَسَبٌ زاكٍ وَلا طِيْبُ مَولِدِ
تطاولتُمُ لا عن عُلًا فَتَراجَعُوا إلى حَيثُ أنتُمْ واقعدُوا شَرَّ مَقعَدِ
قَدِيمُكُمُ ما قَد عَلِمْتُم ومِثلُهُ حَدِيثُكُمُ في خِزيهِ المُتَجَدِدِ

فوظّف الشاعر في مقدمة قصيدته مفردات خطابية منطقية فأعملها في نفسه، وتركها تتفاعل مع وجدانه مؤديةً سبكاً صوتياً داخل نصّه، ويمضي مردداً في قصائده متحمساً لدعوة الأخذ بثأر دم الحسين . عليه السلام . فيأخذهُ شعور الحماس والغضب إلى قوله[21]:

يا غِيرَةَ اللهِ اهتُفي بِحميةِ الدِّين المَنِيعَهْ
وَظُبى انتقامِكِ جَرِّدي لِطُلَى ذَوي البَغي التّليعَهْ
ودَعِي جُنودَ اللهِ تَمـ ـــلأُ هذه الأرضَ الوَسيعهْ
واستأصلي حتّى الرضيـ ـــعَ لآل حَرْبٍ والرَّضيعهْ

فقد تجلّى نص الشاعر بصدق العاطفة الممزوج باللوعة والأسى مع احتفائه بالسرد المأساوي للحدث الواقعي على أرض كربلاء بمفردات عقائدية أكثر منها شعرية؛ لاستمرار الزخم العاطفي عند المتلقي. والسيد حيدر الحلي في هذه المرثية و مراثيه الأخر كان مثالاً في صدق العاطفة، وإن كانت امتدادا طبيعياً لما سبقها من مراثٍ في العصور السابقة[22] ؛ إلا أنَّ الشاعر كان مجيداً في تقديم الصورة الراقية للقصيدة الرثائية الحسينية، كقوله في رثاء الحسين . عليه السلام . [23]:

مالي أُسالِمُ قَوماً عندهَم تِرَتِي لا سَالمَتني يَدُ الأيامِ إنْ سَلِموا

فالشاعر يُدرك الثأر من آل أمية، ويتجاهل بأنَّهم عِظام وهم في بطون التراب، فهو في هذا النهج الشعري كأستاذه الشريف الرّضي[24] عندما أصبحت الثورة عندهُ ردٌّ نفسي عنيف بكل تصوراته. ويستثمر السيد حيدر الحلي في نصوصه الحسينية ألفاظ عزاء قد اتضحت في الموروث الشعري للسابقين (كالبكاء، والدموع، والفراق، والموت، والبأس، والمنون، والجزع، والقتيل، والردى، والثكالى، والأسر)[25]، كقوله[26]:

أَلآ دَمٍ تَنعى وأينَ خَليفةُ الـ رَّحمنِ (آدمُ) كي يُقيمَ عَزاءَها

وَبِكِ انطوَى وَبقيةُ اللهِ التي	عُرِضَتْ وعُلِّمَ (آدمٌ) أسماءَها

فقد وظّفَ الشاعر لفظتي (النعي، والعزاء) دلالة على إثر فقد الحسين . عليه السلام . وهي مفردات قديمة ورد صداها في ماضي الشعر السحيق، فضلاً عن الموسيقى الداخلية التي أسهمت في قوة الإيقاع وتوكيد مضمون النص وسط التوظيف القرآني لقوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ[27] فضلاً عن ذلك فقد استمد الشاعر دلالاته في نصوصه الحسينية من واقعة الطّف عبر استيحاء رموزها ؛ ليشكّل معجماً خاصاً لتلك الواقعة، ومن الطبيعي أن يكون لاسم الحسين . عليه السلام . موقع الريادة في شعره كـ (الشهيد، والبطل، وأبي الأحرار، وإمام الهدى، وسيد الشهداء، وابن بنت رسول الله، وابن فاطمة)[28]، كقوله[29]:

يومٌ على الدُّنيا أطَلَّ بروعَةٍ	ملأتْ صُراخاً أرضَها وسَماْءَها
طرقَتْكِ سالبةُ البهاءِ فقَطّبي	ما بِشْرُ مِنْ سَلَبَ الخُطُوبُ بَهاءَها
وَلِتَغْدُ حائمةُ الرَّجاءِ طَرِيدةً	لا سَجْلَ يُنْقِعُ بَرْدُهُ أحشاءَها
فَحَشَا ابنِ فاطمةٍ بِعَرْصَةِ كَرْبَلا	بَرَدَتْ غَلِلاً وهو كان رَوَاءها

فقد حَمَلَ النص أقصى ما يتحملهُ من دلالات، فإذا كانت البطولة على درجات، كان الإمام الحسين . عليه السلام . قد بلغ الدرجات أقصاها، والشهادة أرفعها، فهو قدوة الأحرار، وسيّد الشهداء، أما من أسماء الأعلام التي لازمت ذكر الإمام الحسين في مراثي السيد حيدر الحلي، اسم السيدة زينب . عليها السلام . بوصفها قائدة المسيرة، ولما يعطيه هذا الاسم من مؤشر فني كبير يضفي الجانب التراجيدي المأساوي الحزين معبراً عن حزن السيدة زينب . عليها السلام . وهي تقود الركب وسط أعباء المصيبة، فيقول الشاعر في ذلك[30]:

خُذي يا قُلوب الطالبيينَ قُرحةً	تَزولُ الليالي وَهي دامِيةُ القَرْفِ
فَإنَّ الّتي لَمْ تبرَحِ الخِدْرَ أُبْرِزَتْ	عشيَّةَ لا كَهْفٍ فَتأوي إلى كَهْفِ
لَقَد رَفِعَتْ عنْها يَدُ القَومِ سَجْفَها	وكانَ صَفِيحُ الهندِ حاشيَةِ السَّجْفِ
وَقَد كانَ مِنْ فَرْطِ الخفارَةِ صَوتُها	يَغُضُّ فَغَضَّ اليومَ مِنْ شِدَّةِ الضَّعْفِ

فقد رسم الشاعر صورة حزينة في نصّه تمثلت بالدور القيادي للسيدة زينب . عليه السلام . في واقعة الطّف ؛ لتأجيج النفس الثوري ضد الظلم، فكفاحها أسوة، وشخصيتها انموذجاً مكللاً بالشموخ الإنساني وشمائله الرسالية. أما فيما يخصُّ الأماكن فقد كان لها الحضور الظاهر في شعر السّيد حيدر الحلي، وبخاصة (كربلاء، والطّف، والغاضرية)[31]، فهي مرتبطة بصورة مباشرة بالحدث فضلاً عن أنَّ هذه الأماكن قد تحوّلت إلى رموز شاخصة جسّدت مواقف الصراع بين الحق والباطل، ودليل على موقف الحسين . عليه السلام . فضلاً عن حضور الشاعر القريب في تلك المواضع، مما ساعدت على أن تكون ملاذهُ الشعوري الأليم في ظلِّ إحساسه بأن الحسين . عليه السلام . قريبٌ منه فأصبحت هذه الأماكن أكبر شاهد تأريخي على الألم، والحزن، والثورة، كقول الشاعر[32]:

إذا كنتَ ممَنْ يأنَف الضَّيمَ فاعتصمْ	بِعَزْمٍ لَهُ قَلْبُ الحوادِثِ ذاهِلُ
وَلَيسَ يُزيلُ الضَّيمَ إلا أُباتُهُ	وَيَرْخصُ عارَ الذُّلِّ إلا المُناضِلُ
رُمْ العزَّ في الخضراءِ بينَ نجومِها	وَكُنْ ثاقِباً فِيها وَهُنَّ أَوافِلُ
أَما لَكَ في شُمَّ العَرانينِ أُسوَةٌ	فَتَسْلكُ ما سَنَّتْهُ مِنْهَا الأفاضِلُ
وأجْرَوا بِأَرضِ الغاضريَّةِ أبحُراً	مِنَ الدَّمِ لَم يُبْصَرْ لَهُنَّ سَواحِلُ

مثّل النص الشعري بُعداً عقائدياً، وهو من أهم المرتكزات في المرثية الحسينية ؛ لأنّ المجاورة العقائدية تجعل من النص المنتج عنها في حركية مستمرة، والتي أعطت النص زخماً شعورياً عاطفياً يرفض الظلم والاستبداد، ومغذياً لكل شعور ثوري متكأً على رمزية الحسين ومعجم الطف الثّري من أجل تصدير فكرته الحاملة لقضايا أمّته تعبيراً عن الحزن الأزلي. وتحفل ألفاظ السلاح بقسطٍ وافر، وعناية كبيرة في النصوص الحسينية للسيد حيدر الحلي[33]، ليصف أجواء الوقعة، وما رافقها من آثار النقع، وحمحمة الخيول، وصليل السيوف، وصخب المقاتلين، ومصارع الأبطال ؛ ليضع المتلقي في أجواء وسط الواقعة، فيتابع الحدث بطريقة حسّية إيحائية لقتال الطرفين، منشداً إلى ما تتمخّض عنهُ تلك المعركة من انتصارٍ أو هزيمة، كقول الشاعر في تصوير واقعة الطف بوصفٍ شمل الحياة والكون والجند[34]:

جَلْلَ الأفقَ مِنْهُ عَارضُ نَقْعٍ مِنْ سنا البيضِ فيه برْقٌ لَموعُ
فَلِشمسِ النَّهارِ فِيهِ مَغيبٌ وَلِشمسِ الحديدِ فيهِ طُلُوْعُ
أيْنَما طارَتِ النُّفُوسُ شَعاعاً فَلِطيرِ الرَّدى عليها وُقُوعُ
قَد تواصَتْ بالصَّبرِ فيهِ رِجالٌ في حَشَى المَوتِ مِنْ لِقاها صُدُوعُ

فقد جلل الشاعر جوَّ المعركة بلونٍ مكفهرٍ قاتمٍ، فاحتُجِبَتْ الشّمس، وتوارت من وراء حجاب، وأظلمّتْ الأجواء ؛ كي يمهد لمنظر بريق السيوف، ويمنحها طلوعاً على حساب طلوع الشمس، فطارت نفوس الكُماة الأبطال عاليةً مع بريق تلك السيوف لتختم حياتها بمصرعٍ يضارع مصرع الشّمس؛ لأنّ طير المنية كان منقضاً عليها وسط حالتي الطلوع والأُفول، فتجددت دلالات وإيحاءات قد وفّق الشاعر في التعبير عنها.

استناداً لما تقدّم أنَّ قصيدة الرثاء الحسينية أصبحت أدباً يتبنى قضايا الجماهير، ويعبر عن همومها ومنبثقاً من شدّة العقيدة والإيمان بها، فكان حرياً أن يكون هذا الأدب قادراً على تحريك الطاقة في المجتمع، فجاءت مراثي السيد حيدر الحلي مزيجاً من الرثاء، واستنهاض الهمم، وزرع الثقة في النفوس وسط ربط الماضي بالحاضر ؛ لإضفاء الثراء عليه.

ثانياً: التوظيف الشعري في مستوى الجملة

تتعاضد البنية التركيبية مع الدلالة في تبليغ مقصد الشاعر؛ لأنَّ الكلمات لا تكسب معناها ؛ إلا عبر ما تنتجهُ من علاقات، وما تحملهُ من خصائص، فالتركيب هو الذي يزيد في تلك الخصائص، أو يقلل منها[35]. هذا التباين في أساليب الصياغة كان سمة ظاهرية في نصوص الرثاء الحسينية للسيد حيدر الحلي، وهذا يعود إلى تباين مزاجه، وطرائق تعامله مع اللغة، وتنوع مصادر ثقافته، فضلاً عن الهدف الذي ينشدهُ، ومع وجود هذا التباين لوحظ أنَّ أُسلوب النداء كان أكثر حضوراً في النصوص الرثائية الحسينية للسيد حيدر الحلي، وهو (طلب الإقبال حسّاً، أو معنًى بحرف نائب مناب الفعل أدعو)[36]. فكانت الهمزة أكثر حضوراً، وغالباً ما تتكرر في أكثر من بيت في المرثية، وهي إشارة إلى إحساس الشاعر بقربهِ من المنادى، وإلى البحث عن الأمان النفسي الذي ينشدهُ في حضرة الإمام الحسين . عليه السلام .، كقوله[37]:

عليكَ إمامَ الهُدى عَزَّ ما غَدَا البَرُّ يَلْقى مِنَ الفاجِرِ
فَكَم يَنْحَتُ الهمُّ أحْشاءَنا وكم تستطيلُ يَدُ الفاجِرِ
أ صبراً على مِثلِ حزِّ المُدى وَلَفحْةِ جمرِ الغَضَا السَّاعِرِ
أ صَبراً وهذي ثُيُوسُ الضَّلا لِ قد أمِنَتْ شَفْرَةَ الجازِرِ
أ صَبراً وَسِرْبُ العِدَى راتِعٌ يَرُوحُ وَيَغْدو بِلا ذاعِرِ

فقد تعاضت الأساليب بعضها مع بعض ما بين نداء، وأمر، واستفهام، وتضاد، وتكرار لتحقق سبكاً نصياً يعزز الجانب الإيقاعي وصولاً إلى المعنى المطلوب وسط إظهار معاني اللوعة والتحسّر، والحزن؛ لبيان مرتبة قرب المرثي من نفس الشاعر، وتأتي (يا النداء) التي غالباً ما وظّفها الشاعر لنداء البعيد ؛ لعلوّ مرتبة المرثي، كقوله[38]:

علَى كُلِّ وادٍ دَمْعُ عينيكَ يَنْطِفُ	**وَ مَا كُلُّ وادٍ جُزْتَ فِيهِ المُعَرَّفُ**
فَيا ناعياً رُوحَ الخلائقِ فاتْئِد	**لَقد أوشَكَتْ رُوحُ الخلائقِ تَتْلِفُ**
و يا رائدَ المعْروفِ جُذّتْ أُصُولُهُ	**وَ يا طالبَ الإحسانِ لا مُتَعَطَّفُ**
فَيا ظلّةَ السَّارينَ إذْ غابَ بَدْرُهُمْ	**لَقد خَبَطُوا في قَفْرَةٍ وتَعَسَّفُوا**
وَ يَا لصباحِ الدِّين يَومَ تَكَوَّرَتْ	**شُمُوسُ الهُدى مِنْ أُفقِهِ فَهو مُسْدِفُ**

قصد الشاعر في تكراراته الندائية تنبيه السامع وإقناعه بأنَّ الحسين . عليه السلام . جامع لكل الفضائل والصفات الحسنة، وعبر توظيفه لآلية الاقتباس التحويري لقوله تعالى: **چ آ ب ب ب پ چ** [39]، مما عزّز من هيمنة النص السابق (القرآني) على النص اللاحق (الشعري) وتوكيد مصداقيته. وخلاصة القول تمكّن الشاعر من تحقيق بنيات لغوية تركيبية تجلت عبرها البنيات الكبرى الكلية للنص شكّلت عبرها ردَّ فعل لدى السامع، وإن كان الشاعر يطيلها مقطعياً عبر آلية التكرار مثلاً ؛ لاستيعاب الإنثيالات الفكرية التي يريد الشاعر إيصالها إلى المتلقي مما يدلل على وجود عنصر لكل فاعلية وظيفية تحقق معايير جمالية للنص.

المحور الثالث: أنماط صياغة المعنى في النص الحسيني الرثائي وأثرها في نهضة المجتمع

أولاً: الوظائف والأداء في قصائد السيد حيدر الحلّي

1 . الوظيفة النفسية: إنَّ الوظيفة النفسية للشعر هي ما تُثيرهُ من عواطف كامنة في النفس وما يتولد عن ذلك من استقرار نفسي، وانفعالات مؤثرة، فهي (وظيفة داخلية تسرح مع المرء في أعماقه، وتمتلك عليه عواطفه، وتبدأ بمشاعره فتشدَّهُ شدّاً، وتقفز إلى سريرته، فتعالج آمالها ومخاوفها، وتصور بأسها ورجاها، فتدعو إلى الإنذار تارةً، وإلى التبشير تارةً أخرى، وإلى التحذير تارةً ثالثة، فهي مقياس التأثير النفسي، وميزان التجاوب الداخلي عكساً واطراداً، فكان الأمل، واليأس، والرهبة، والرغبة،.... مجالاً لأبعادها الموضوعية)[40]، وعندما يكون النص الأدبي موظفاً لتلك القضية، فأنّهُ سيكون محور التقاء بين المبدع والمتلقي، والنقطة الأساس التي ستكون بينهما هي المنزلة العظيمة للإمام الحسين . عليه السلام . وعدالة قضيته، وتضحيته في سبيلها، مما ترتّب على ذلك أن يكون . عليه السلام . شفيعاً لمحبيه وأنصاره، ومبدأ الشفاعة من أهم الأهداف التي دفعت السيد حيدر الحلي إلى النظم، فجعل المتلقي يعيش حالات التأثر، ولما يحققهُ هذا المبدأ من شعور بالأمان النفسي عند المسلم، من هنا كان الحزن على الإمام . عليه السلام . خياراً يميل إليه الشعراء من أجل نيل شفاعته للوصول إلى مرضاة الله، وهذا وحدهُ كافياً لبعث الراحة النفسية للشاعر والمتلقي معاً. إذْ يقول السيد حيدر الحلي، وقد ترك الدُّنيا وما فيها ؛ ليعيش حالةً صوفية مع المفقود، ولاسيّما إذا كان المفقود سليل النبوة، ودليل العصمة، ومعدن العلم . عليه السلام . [41]:

تَرَكتُ حَشاكَ وسلوانَها	**فَخَلِّ حَشَايَ وأحزانَها**
وَدَعني أُصارِعُ همّي وَبِتْ	**صَرِيعَ مُدامكَ نَشْوانَها**
قَد استَوطَنَ الهمُّ قلبي فَعِفْتُ	**لكَ الغانياتِ وأوطانَها**
أفقْ لَسْتُ أولَ مَنْ لامَني	**على وصلِ نفسي تَحنانَها**
فَكَم لي قبلَكَ لَوّامةٌ	**تَشاغلَتُ مُطَّرِحاً شانَها**
تُناشدُني الصبرَ لكن تريـــ	**ـــدُ أَنْ أعرفَ اللَهوَ عِرْفانَها**

فقد ألهبت فاجعة كربلاء الأليمة إحساس الشاعر بالخطيئة، والتقصير الأمر الذي ولّد صراعاً دامياً أزعجهُ، وأقلق بالهُ باستمرار، ولاسيّما عندما يترائ لهُ حدث مقتل أهل البيت . عليه السلام .، فقلبهُ يستوطنهُ الهم، ويكثر عليه اللوم، فأنَّ هذا المنحى في الخزن، وطلب الشفاعة كان ظاهرة عامة في شعر السيد حيدر الحلي، وإشارةٌ صريحة على إخلاصهِ في الحب لأهل البيت . عليهم السلام . قائلاً [42]:

أ ناعيَ قَتْلَى الطَّفِ لا زِلْتَ ناعِياً ... تُهيجُ عَلى طُولِ اللَّيالي البَواكِيا
أَعدُّ ذِكْرَهُم في كربلا إنَّ ذِكْرَهُمْ ... طَوى جَزَعاً طَيَّ السِّجِلِّ فُؤادِيا
وَدَعْ مُقْلَتي تَحمرُّ بَعدَ ابيضاضها ... بَعْدَ رَزْايا تترُكُ الدَّمعَ دامِيا
سَتَنسَى الكَرى عينٌ كأنَّ جفونها ... حَلَفْنَ بِمَنْ تَنْعاهُ أن لا تلاقيا
وأعضاءُ مَجْدٍ ما توَزَّعَتِ الظُّبى ... بِتَوزِيعَها إلاّ النَّدى والمَعاليا
لَئِنْ فَرَّقَتْها آلُ حَرْبٍ فَلَمْ تَكُنْ ... لِتَجمعَ حتَّى الحَشْرِ إلاّ المَخازِيا

فقد سخّر الشاعر عناصر الفن الدرامي لتعميق المشهد الرثائي عبر الحوار النفسي بينهُ وبين الناعي والإمام . عليه السلام . (أعضاءُ مجدٍ) وخصومهِ (آل حرب) عند احتدام الصراع، مع التأثر الواضح بالقرآن الكريم في قوله (طَوى جزعاً طيَّ السِّجل) فألقى الحجّة على الخصوم بأنّهم ارتكبوا جريمة ضد الإنسانية الكبرى التي أضروا بها الدين والأخلاق، ولاشكّ أنَّ الشاعر وظّف الأسلوب السهل الممتنع فيها، وقوله أيضاً[43]:

إلى حيثُ بالأمرِ استبدّتْ أُميَّةٌ ... فأسْفَرَ عَنْ وجه الضلالِ نِقَابُها
وأبدَتْ حُقُودَ الجّاهليّةِ بَعْدَما ... لِخَوفٍ مِنَ الإسلامِ طالَ احتجابُها
وَسلَّتْ سُيوفاً أظمأَ اللهُ حدَّها ... فَأَضْحى دَمُ الهادينَ وهو شَرابُها
فقُل لِنِزارٍ سَوِّمي الخَيلَ إنَّها ... تَحنُّ إلى كَرِّ الطِّرادِ عِرابُها

فقد لبَّتْ المرثية الحسينية للسيد حيدر الحلي الحاجة النفسية للاقتصاص من أعداء الدِّين الذين اغتصبوا حقَّ محمد . عليهم الصلاة والسلام . إشارةً إلى حنق الشاعر وغضبهِ عليهم وسط التحريض على أخذ ثأر الإمام الحسين . عليه السلام . لتحقيق العدالة، فملازمة حزن الشاعر في مرثيته دليل واضح على إيمانه المطلق بـ (ثورة الحسين وشخصيته وبطولته وتضحيته بالألم، والألم بالأمل، والأمل بالإنقاذ والخلاص النهائي ؛ لأنَّ البشرية لا تستطيع لوحدها أنْ تتغلب على الألم البشري، وبذلك أصبح الاستشهاد طريق الشفاعة والخلاص)[44]، ويبدو هذا واضحاً عبر عنصر المأساة في الحدث الحسيني، كما تمثل في قول الشاعر [45]:

بِودّي لَو أنَّ الرَّدى كانَ مُرْقِدي ... ولا ابنَ ابي نَبَّهتُ مِنْ رَقْدَةِ الحَتْفِ
وَ يَا لَوعَةً لَوْ ضَمَّني اللَّحدُ قَبْلَها ... وَلَم أَبْدُ بَيْنَ القَومِ خاشِعَةَ الطَّرْفِ

يتضح مما سبق أَنَّ الوظيفة النفسية في مراثي الشاعر الحسينية، هي وسيلة للخلاص الآخروي، فكان كلامه بلهجة الواثق المطمئن من رسوخ مبادئ الحسين . عليه السلام . في فكره، فأصبحت خير وسيلة مكّنته للانتقال من حالة إحساسه الحاد بالواقع النفسي الذي يموج بألوان الصراع للتخلص من هذا الواقع.

ثانياً: الوظيفة العقائدية: يمثل البعد العقائدي أهم أُسس المرثية الحسينية؛ لأنّ المجاورة العقائدية لأي قضية تجعل من النص المنتج عنها في حركية مستمرة، وهذه الحركية تعطي للنص زحماً شعورياً توجهه بوصلٍ عاطفي تعبيراً عن الحزن الأزلي، ولا يخفى ما لغرض الرثاء من ترجمة قريبة للمشاعر الإنسانية، فكيف الحال إذا كان الراثي يرتبط مع المرثي (الرمز) برابطة العقيدة

والانتماء. فضلاً عن أنَّ الواقع المتردي . إبان القرن التاسع عشر. في العراق لهُ أثرٌ عميق في فكر الشاعر وموهبته، فقد سخّر عقيدته لإعلان الثورة ؛ لينطلق عبرها إلى بثِّ روح الحماسة والاستنهاض بين معاصريه، ونشر روح النقمة على المتسلطين العثمانيين الذين كبّلوا العرب ومنعوهم من ممارسة حقِّهم في السياسة والحكم، وأرهقوهم بفرض أساليب الظلم والقهر والاستعباد، فكان السّيد حيدر الحلي من الشعراء الذين انضووا تحت لواء ثورة الشعراء فيظلّ العقيدة، فأخذ يستوحي من الحوادث التي عاصرها وشهدها ثورةً نفسيةً تتخذ من العقيدة مجالاً للانقضاض، والاستنهاض، فيصرخ ويحتدم، ويشتد غضبه، ويحيل الدُّنيا كلها إلى غضب وثورة ؛ ولكنهُ لا يعدو الواقع فيما يصور من الظلم والتعسف الشديدين حتّى صار المجتمع جسداً لا حراك له[46]. وهذا البعد السياسي العقائدي الذي كابدهُ السّيد حيدر الحلي من الأبعاد المهمة التي وجّهتهُ الوجهة العنيفة الثائرة في أغلب قصائده الرثائية إذْ غدت (صيحة مدوية، وصرخة هادرة، وتساوق بين الأسلوب والعاطفة، ونفثةٌ حارّة مضطرمة، وخاتمة فيها يأس يودُّ الشاعر نفسه الموت.... { فقد} كان في أدقِّ ساعات الانفعال)[47]. فضلاً عن أنهُ كان ثائراً عنيفاً منفعلاً بسبب شعوره بفداحة الظلم، ومواجهة الحكام الجائرين الذين لم يُصرّح باسمائهم ؛ لكنهُ اكتفى بالضمائر وأسماء الإشارة رمزاً لهم تجنباً من مظنة الاتهام بمعارضتهم، كقوله في إحدى روائعه الخالدة التي رثى بها جدّهُ الحسين . عليه السلام . قائلاً [48]:

طَمَعَتْ أنْ تسُومهُ الضَّيمَ قومُ	**وَأبى اللهُ وَالحُسامُ الصَّنِيعُ**
كيف يلوي عَلى الدَّنِيَّةِ جيداً	**لِسوى اللهِ ما لَواهُ الخُضُوعُ**
ولديهِ جأشٌ أردُّ مِنَ الدر	**عِ لِظمأى القَنا وهُنَّ شُرُوعُ**
وبِهِ يرجِعُ الحفاظُ لِصَدرٍ	**ضاقَتْ الأرضُ وهي فِيهِ تضيعُ**
فأبى أنْ يعيشَ إلاّ عَزيزاً	**أو تَجلَّى الكفاحُ وهو صَرِيعُ**

فلم تُصوّر منعة النفس وإباؤها بمثل هذا التصوير الرائع، فقد عرض الشاعر إلى ما صممت عليه الدولة الأموية من إرغام الإمام الحسين . عليه السلام . على الذُّل والهوان، وإخضاعه للجور والاستبداد ؛ ولكن أبى الله . عز وجلَّ . له ذلك، وتأبى لهُ نفسه العظيمة التي ورثت عزَّ النبوة، أنْ يقرَّ على الضيم، فلا يلوي الخضوع جيدهُ _ عليه السلام _ فكيف يخضع لشرذمة بني أمية، وكيف يلوي سلطانهم عن عزمهِ الجبار الذي هو أقوى من الدرع للقنا الضامئة، مع بلاغة الأخذ، ودقة الوصف لإباء سيد الشهداء، وعزّته، عندما أرجع جميع طاقات الحفاظ والذِّمام لصدر الإمام . عليه السلام . التي ضاقت الأرض من صلابة عزمه وإرادته ؛ بل أنّها على سعتها تضيع فيه. ومن الحقِّ أنَّ السيد حيدر الحلي قد حلّق عالياً في وصفه لإباء الإمام . عليه السلام . فضلاً عن جمال اللفظ ودقة الأخذ، فلا كلمة غريبة أو حرف يثقل على السمع، كقوله[49]:

لَقد ماتَ لكن مِيْتةً هاشميَّةً	**لَهم عُرِفَتْ تَحْتَ القَنا المُتَقصِّدِ**
كَريمٌ أَبى شَمَّ الدَّنيَّةِ أَنْفُهُ	**فأَشْمَمَهُ شَوكَ الوَشِيجِ المُسَدَّدِ**
وَقالَ قِفي يا نَفْسُ وَقْفَةَ وارِدٍ	**حِياضَ الرَّدَى لا وَقْفَةَ المُتَرَدِّدِ**
رَأى أنَّ ظَهْرَ الذُّلِّ أَخْشَنُ مَرْكَباً	**مِنَ المَوتِ حَيثُ المَوتُ مِنْهُ بِمَرْصَدِ**
فَآثَرَ أَنْ يَسْعَى عَلَى جَمْرَةِ الوَغَى	**بِرِجْلٍ ولا يعطي المَقادةَ عَنْ يَدِ**

فقد انطلق الشاعر من عقيدته الراسخة بمنعة الإمام . عليه السلام . وعزّة نفسه التي آثرت الموت تحت ظلال الأسنّة على العيش الرغيد بذل وخنوع أصدق تمثيل ناهجاً بذلك منهج الشهداء من أسرته الذين تسابقوا إلى ساحات البسالة والشرف والاندفاع بشوق إلى ميادين التضحية ؛ لينعموا بالعزّة والكرامة، ومضى بوصفه بأنّهُ . عليه السلام . أبيٌّ شَمَّ الدَّنية والضيم، وعمد إلى شمم الرماح والسيوف؛ لأنَّ بها طعم الإباء، وطعم الشرف والمجد، وبهذا الوصف ملك عواطف الشاعر كما ملك عواطف غيره دون تكلفٍ أو سأمٍ، لذلك تعدُّ مراثي السيد حيدر الحلي تُراثاً مشرقاً في وجنة أدب الأمة، فأمعن فيها إمعاناً دقيقاً، وفكّر فيها تفكيراً جادّاً،

فرتّب أجزاءها ترتيباً دقيقاً حتى جاءت بمنتهى الروعة والإبداع. وبهذا تحوّل الشعر الحسيني إلى أنشودةً لهجت بها ألسنة الشعراء على اختلاف الأزمنة والعصور والانتماءات المذهبية والفكرية والعرقية ؛ بل كانت إيماناً مطلقاً بقضيته العادلة، وإنسانيته المظلومة حتّى عُدَّ رمزاً خالداً يبثُّ في الشعر روح المقاومة، وعنفوان التحدي، وزخم النضال، ولا زالت دماء الحسين الزكية . عليه السلام . تجري في عروق الشعر والشعراء غضباً مقدساً، وتتدفق فيهم بالحياة والخلود والرفض، ولا زالت جراح الحسين على مرّ الأزمنة عنوان الحق، ومثال التضحية والفداء متمثلةً بصرخة مدوية بوجه الظلم، وتجسيداً لمبادئ الحرية.

ثالثاً: الوظيفة السياسية والاجتماعية: إنَّ البُعد التوظيفي في الشعر الرثائي الحسيني لا يقف عند حدود الجانب النفسي، والعقائدي ؛ بل يتعداهُ إلى الجانب الاجتماعي الذي يعمد فيه المبدع ترك بصماته المؤثرة في المجتمع عن طريق نتاجه الفني، وعلى وفق رؤيته الجديدة للحياة ن إذ استمدّ شاعر الثورة الحسينية رؤيته من تعاليم الدين الإسلامي المتجسدة في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف سعياً منهم لإصلاح النفس والأمة. وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين . عليه السلام . في قوله: (إنّي لم أخرج أشِراً ولا بطِراً، ولا مُفسداً، ولا ظالماً، وإنَّما خرجتُ لطلبِ الإصلاح في أمّة جدّي، أُريد أن آمر بالمعرف وأنهى عن المنكر)[50]. وحينما يكون النص الأدبي موظفاً لتلك القضية، فأنّهُ سيكون محور التقاء بين الشاعر والمتلقي (وعلى هذا الأساس يمكن النظر إلى الإنتاج الأدبي بوصفهِ تعبيراً عن أعراف وتقاليد المجموعة، وليس تعبيراً عن مزاج شخصي لفرد معين)[51]. فالنقطة الأساس التي يلتقي فيها الشاعر والمتلقي في شعر الرثاء الحسيني هي منزلة الإمام العظيمة، ورفض الانقياد والانصياع إلى الحاكم الجائر، والسكوت عن الباطل مرضٌ خطير يمزق أوصال المجتمع، وينهب خيراته، ويقسمه على طبقات اجتماعية، فضلاً عن مقاومة الظالم في القول في حالة قصر اليد عن مطاولته لقوته وبطشه، وكشف نكثهِ للحق ومخالفته لحدود الله سبحانه وتعالى. ولاسيّما قد جاء الإسلام ليجذّر القيم الأخلاقية التي تسود المجتمع كالشجاعة، والكرم، والمروءة، وحماية الجار، والوفاء بالعهد وغيرها، ويستأصل التعصب القبلي في ولاء الفرد للقبيلة. فضلاً عن أخذ الثأر من الظالمين، وإحقاق دولة الحق والعدالة في جميع الأرض، وإحياء معالم الدِّين التي طمست عبر ملوك الضلالة، وحكام الجور، كقول السيد الحلي في رثاء الحسين . عليه السلام . وهجو قاتليه[52]:

وَلا مِثل يومِ الطَّفِ لَوعَةُ واجدٍ ... وَحُرْقَةُ حَرّانٍ وحسْرَةُ مُكْمَدِ
تَبارِحُ أَعطَينَ القُلُوبَ وَجِيبها ... وقُلْنَ قومي مِنَ الوجْدِ واقعدي
دَرَتْ آلُ حَرْبٍ أَنّها يومَ قَتْلِهِ ... صَرِيعاً على حَرِّ الثَّرى المُتَوقِّدِ
لَعمري لَئِن لَمْ يَقْضِ فَوقَ وِسادِهِ ... أراقَتْ دَمَ الإسلامِ في سيفِ مُلْحِدِ

فالحدث الحسيني المتمثل بـ (يوم الطف) كان غذاءً ودافعاً مهماً في نظم أبياته الرثائية، فَعِر هذا الحدث صبَّ الشاعر همومهُ المكبوتة بوساطة المعاني المختارة لقصيدته محاولاً استدعاء التاريخ وإحضارهِ من أجل تشخيصه، ونقله من الذاكرة إلى الممارسة ؛ لتؤدي القصيدة دورها في التوظيف الموضوعي. وقد يجد الشاعر في فن الرثاء فلسفة الانتظار للإمام الحجّة . عليه السلام . مجالاً لبثِّ همومهم ومعاناتهم، وأنَّ الصبر قد مات من طول الانتظار، وهذا الصبر قد خلّفَ أحشاءً ممزقة من شدّة الجزع والحسرة حتّى اشتكت إليه القطيعة، وأنَّ سيفهُ علاج هذه القلوب المفجوعة، إذ يقول السيد حيدر[53]:

ماتَ التَّصَبُّرُ بانتِظَا ... رِكَ أيُّها المُحيي الشَّريعهْ
فَانْهَضْ فَما أبْقَى التَّحَمْـ ... ـــمُلُ غَيْرَ أَحشاءٍ جَزُوعَهْ
قَدْ مَزَّقَتْ ثَوْبَ الأَسَى ... وَشَكَتْ لِواصِلِها القَطِيعَهْ
فَالسَّيفَ إنْ بِهِ شِفَـا ... ءَ قُلُوبِ شِيعَتِكَ الوَجِيعَهْ

ويتضح من مطالعة النصوص الشعرية للسيد حيدر الحلي أنّها نبعت من ذاته،فلم ينفصل عن واقعه الاجتماعي الذي عاش فيه، وبخاصة الواقع السياسي والاجتماعي المتخلف الذي كان يعاني منهُ المجتمع آنذاك، وما كان يقاسيهِ من ظلم الحكام، وجور الزّمان.

ثانياً: المستوى البياني في النص الحسيني للشاعر السيد حيدر الحلي

تُشكل فنون البيان أبعاداً جمالية وفنية عبر المجازات والاستعارات والكنايات التي تكسب النص الأدبي عوالم جديدة يمكن الانطلاق منها لتكوين آراء جديدة دون الابتعاد عن الجوهر الأصلي للقضية التي يتناولها. وأول من وظّف مفهوم الصورة الفنية قديماً في نقده هو الجاحظ (ت 255هـ) في معرض حديثه عن الشعر قائلاً: (إنَّ المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي... وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج... فإنّما الشعر صناعة ضربٌ من النسج، وجنس من التصوير)[54]، ويعني الجاحظ إنَّ الشعر أشبه بصناعة النسيج الذي يتألف من تلاحم الخيوط وتشابكها بما ينتج شيئاً جديداً غير مألوف، كذلك يُصنع الشعر من علاقات الكلمات بعضها ببعض بما يشبه عملية النسج، لذا يكون ما يقصدهُ بالمعاني هو المعاني العامة المعروفة لدى جميع الناس؛ أما في النقد الحديث فقد أكثر النُّقاد من الحديث عن الصورة، فأفردوا لها بحوثاً ودراساتٍ، وعدُّوها مصطلحاً فنياً قائماً بنفسه، فدرسوا جذورها ومصادرها وأنواعها، ووصفوها في أكثر حالاتها مظهر خارجي محدود محسوس جيء به في الشعر ؛ ليعبر عن عالم من الدوافع والانفعالات التي لا تُحس ذلك بأنَّ الفن هو اتحاد النفس والإنسان (المشاعر والأفكار) بعوالم الكون والطبيعة[55]. حتى أنَّ الموسيقى على الرغم من أهميتها لا تكون فاعلة (إلا بمقدار ما تشدُّ من أزر هذه الصورة، وتضيف إلى إيحاءاتها)[56]. وانطلاقاً من هذا التصوّر، فأنَّ العاطفة والخيال جانبان مهمان من جوانب العملية الإبداعية في الفن الشعري، وهما لا يتجسدان إلا في اللغة، فالتصوير هو الوسيلة المهمة لتوصيل تجربة المبدع إلى المتلقي؛ لأنّهُ يستعين بالخيال، فكل صورة شعرية هي وليدة الخيال، والصورة وليدة العاطفة، وعليه يمكن دراسة الصورة الفنية في النماذج الشعرية للسيد حيدر الحلي، كوصفه مظاهر البطولة (الجسدية) للإمام الحسين . عليه السلام . عبر ما يتطلبهُ الموقف الدرامي، قائلاً[57]:

رَكِيْنٌ وَلِلأرضِ تحتَ الكُماةِ رَجِيْفٌ يُزَلْزِلُ ثَهْلانَها
تَزيدُ الطَّلاقَةُ في وجههِ إذا غَيَّرَ الخَوفُ ألوانَها

فقد أظهر الشاعر ملامح البطولة بصورةٍ حسّية جاعلاً فرائص الحسين . عليه السلام . غير مرتعدة لجولات الحرب ؛ بل خاضها وهو رابط الجأش، باسم الثغر، صلب العود، وعبر التضاد بين لفظتي (ركين، ورجيف) قاصداً به اضطراب أرض معركة كربلاء تحت أقدام الكُماة الشجعان، ويسري اضطرابُها إلى جبل ثَهْلان المعروف بثباتهِ ؛ ولكن الحسين الركين بقي وجههُ طلقاً أمام وجوهٍ غيّر الخوف ألوانَها فكان للتضاد أثرهُ في بناء صورة ملحمية لحسين الثبات الذي يقف أمامه المحاربين راجفين ومذعورين. ولم يكتفِ الشاعر بإظهار صفات البطولة للحسين . عليه السلام . فحسب ؛ بل حرص على إظهار صفات البطولة وعناصرها على أصحاب الحسين بأفضل صورة تتطلبها المعركة التي خاضوها، كقوله [58]:

سِمَةُ العَبيدِ مِنَ الخُشُوعِ عَلَيهِمُ للهِ إنْ ضَمَّتْهُمُ الأسْحارُ
وَإذا تَرَجَّلَتِ الضُّحَى شَهِدَتْ لَهُمْ بِيْضُ القَوَاضِبِ أنَّهُم أحْرارُ

فما بين الليل وضحاه رسم الشاعر صورةً لأصحاب الحسين . عليه السلام . وهم في محراب العبادة خاشعةً جوارحهم في تأدية الواجب الإلهي طاعةً لله تعالى، وإذا طلعت شمس الضُّحى وأقبلت كفتاةٍ تمشي على استحياء استقبلوها ببيض الصِّفاح معلنين الاستعداد لخوض المعركة، فالصورة متقابلة بين الدَّوي في العبادة، والفروسية في الوغى. كما أحاط السيد حيدر الحلي في نصوصه الحسينية بوصف أجواء المعركة وما رافقها من أحداث وصور متكاملة الأجزاء، وبطولات ملحمية بشكل حسّي وإيحائي، كأنّما ينقل القارئ إلى أجوائها، كقوله[59]:

يَوْمَ صَكَّتْ بالطَّفِ هاشِمُ وَجْهَ الـ ـــموتِ فالمَوتُ مِنْ لقْاها مَرُوعُ
بسُيُوفٍ في الحَرْبِ صَلَّتْ فللشُّوْ سِ سُجُوْدٌ مِنْ حَوْلِها وَرُكُوعُ
وقَفَتْ مَوقِفاً تَضَيَّفَتِ الطَّيْـ ـــر قِرَاهُ فَحُوَّمٌ وَوُقُوعُ
مَوقِفٌ لا البصيرُ فيهِ بَصِيْرٌ لانْدِهاشٍ ولا السَّمِيعُ سَمِيْعُ
جَلَّلَ الأُفْقَ مِنْهُ عارِضُ نَقْعٍ مِنْ سَنَا البِيْضِ فِيهِ بَرْقٌ لَمُوعُ
فَلِشَمْسِ النَّهارِ فِيهِ مغِيبُ وَلِشَمْسِ الحَدِيدِ فِيهِ طُلُوعُ
أَيْنَما طارَتْ النُّفُوسُ شَعاعاً فَلِطَيْرِ الرَّدَى عَلَيها وُقُوعُ

هذه الصورة كأنّما يحسُّها القارئ تؤدي مشهداً شعرياً متكاملاً تتضافر فيها أدوات الحرب، وألفاظ الطبيعة المتنوعة مصادراً للصورة الشعرية، فجثث الأعداء منكَّسةً في ساحات الوغى وكأنّها موائد لضيافة سباع الطّير، والسيوف الهاشمية تُصلي في محراب الموت وسط تصاعد غبار المعركة، ولمعان السيوف، وهي صور تقليدية استمدّها الشاعر من الموروث الشعري للسابقين(60)، فالألفاظ في عموم القصيدة لا تتشامخ الغموض الدلالي؛ بل تنساب بصورة قريبة من ذهن المتلقي عبر إدراك الشاعر لقدرات المجاز في منح لغته مساحة دلالية أوسع من دلالتها المعجمية. وتتعدد الصور الجمالية التي رسمها الشاعر لأدوات الحرب ولاسيّما قد وفّق في رسم صورة السهم الذي أصاب عبد الله الرضيع، قائلاً(61):

وَمُنْعَطِفٍ أَهْوى لِتَقبيلِ طِفْلِهِ فَقبَّلَ مِنْهُ قَبْلَهُ السَّهْمُ مَنْحَرَا
لَقد وِلِدا في ساعةٍ هُو والرَّدى وَمِنْ قَبْلِهِ في نَحْرِهِ السَّهمُ كَبَّرَا

فقد وفّق الشاعر في رسم صورتين بديعتين متقابلتين في أبياته، قبلة الأب . عليه السلام . على خدِّ رضيعه، وهي تتفجر عطفاً وحناناً، وقبلة السهم المشؤوم الذي حزَّ رقبة الرّضيع ونحره من الوريد إلى الوريد، ثم جنح الخيال بالشاعر ليجعل هذا السهم الفجيعة ملازمة لولادة الرضيع، ولاسيّما أنَّ سُنَّة الإسلام المشروعة أنْ يؤذن بأذن الرضيع اليمنى، فجعلها الشاعر تكبيرة الموت.ولم ينسَ الشاعر ما للمرأة من دور مهم في إضفاء الصفات الملحمية على صعيد الثورة وأحداثها كالنسوة الفاطميات اللواتي أصبحن أسارى بيد بني أُمية بعد استشهاد أوليائهن(62). أما زينب . عليها السلام . فصاحبة المهمة الكبرى بعد استشهاد أخيها . عليه السلام . لتحمل الأعباء التاريخية فتكون البطل في المعركة، فيقول الحلي في حقِّها(63):

حَمَلتُ الرَّزايا قَبْلَ يَومِكَ كُلَّها فَما انقَضَتْ ظَهْرِي ولا أوهَنَتْ كَتِفي
وَلاوِيتُ مِنْ دَهْرِي جَميعَ صُرُوفهُ فَلَم يُلْوَ صَبْرِي قَبْلَ فَقْدِكَ في صَرْفِ

فجمع الشاعر صورتين متناقضتين في حياة زينب . عليها السلام . عبر التضاد بين لفظتي (لاويتُ، ولم يُلوِ) فهي السيدة القوية التي تربّت في حجر الجهاد لم تنثنِ أمام صروف الدّهر التي حدثت لها ؛ لكن مصرع الحسين هدَّها وكسر مشاعرها. وبهذا يمكن القول أنَّ الشاعر قد أحاط نصوصه الشعرية الحسينية بهالة من التعجب والاندهاش تجاوزت النمطية، ليجنح الخيال في وصف الواقعة جامعاً فيها مظاهر الكون والحياة وسط مأتمٍ كوني حزناً على سيد الشهداء ورهطه في كربلاء . عليهم السلام . والذي بقى تأثيرهُ ممتداً بكل وحداته إلى هذا اليوم.

خاتمة البحث

عبر دراسة البحث تبينت النتائج الآتية: يُعدُّ الشاعر السيد حيدر الحلي من شعراء العراق في القرن التاسع عشر، وقد أخذ مكانة واسعة لدى النُّقاد والدارسين، ونال إعجابهم، وحظي بعنايتهم وما تركهُ من آثار أدبية تفرض الاحترام والتقدير، مما جعلهم يشيدون بإبداعه الشعري وموهبته الأدبية النادرة، ولاسيّما قد أبدع ابداعاً رائعاً افي فن الرثاء فأصبح ظاهرةً تميز بها وكانت المحاور

الأساس في نصوصه الحسينية تتضمن شخصية الحسين _عليه السلام _ وأصحابه، والسيدة زينب _ عليها السلام_، والأعداء. وكان أهم ما يميز هذه النصوص تمثلها لغايات أخلاقية واجتماعية بما حققتهُ من تأكيد حقيقة الصراع بين قيم الخير وقيم الشّر ومحاربة المفاسد في المجتمع، وسياسية بما جرى من أحداث سياسية في واقع المجتمع العراقي، وعقائدية في التأكيد على حب آل البيت وتعاليم الشريعة السّمحة. أما من جانب الألفاظ وصياغتها فقد درستها الباحثة، وهي مؤمنة بأنّها لا تنفصل عن لغة النص الشعرية، فوجدتها دالة على مفاهيم الحزن وسط الاستيحاء من اقع معركة الطّف بطريقة حسّية وتقريرية مباشرة، وأساليب بديعية تضمنت الاقتباس والتضمين كشعر عصر ما قبل الإسلام والشعر العباسي، إلا أنَّ لها صبغة خاصة بمداد السيد حيدر الحلي الثائر، مما جعلها تُلقى في المحافل الحسينية، لذلك كانت معبرةً عن مرحلتها، دالّة على ثقافة عصرها وقد وفّق الشاعر فيها بين الفن والمضمون، وبين قيم الماضي وثقافة الحاضر، ومجسّداً لصورة الحياة الأدبية في العراق.

هوامش البحث:

(1) يُنظر: أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت 1371هـ) تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، بيروت _ لبنان، (د. ت): 6/ 266. والآداب العربية في القرن التاسع عشر، الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت _ لبنان، 1924م: 109/2.

(2) يُنظر: الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان، ط5، 1980م: 2/ 290. و ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق: د. مُضَر سليمان الحلي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت _ لبنان، ط1، 2011م: 1/ 3 - 4.

(3) يُنظر: معجم المؤلفين: محمد كحالة، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، بيروت _ لبنان، (د.ت)، 4/ 263.

(4) ينظر: شُعراء الحلة أو البابليات: الشيخ محمد علي اليعقوبي (1385هـ)، دار البيان، قم _ إيران، (د.ت): 2/ 154.

(5) يُنظر: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: المستر ستيفن همسلي لو نكريك، نقلهُ إلى العربية، جعفر الخياط، مكتبة اليقظة العربية، بغداد _ العراق، ط1، 1985م،: 332.

(6) يُنظر: البابليات، 2/ 154. وأدباء حلّيُون: د. أحمد جواد علُّوش، منشورات عويدات، بيروت . باريس، ط1، 1978م: 210. وأدب الطف (شعراء الحسين): جواد شُبّر، مؤسسة التاريخ، بيروت _لبنان، ط1، 2001م: 8/ 4

(7) الديوان: 2/ 134.

(8) يُنظر البابليات: 155/2. و ديوانه: 1 / 13. و (لغة شعر السيد حيدر الحلي): أحمد صبيح محسن الكعبي، رسالة ماجستير، كلية التربية _ جامعة بابل، 2004 م: 15.

(9) يُنظر: ديوانه: 1/ 12 - 13. وأدباء حلّيُون: 214. ونهضة العراق الأدبية في (القرن الثالث عشر للهجرة) د. محمد مهدي البصير، دار الرائد العربي، بيروت _ لبنان، ط3، 1990م: 53. والسيد حيدر الحلي (شاعر عصره) د. حازم سليمان الحلي، مط أكرم، روتردام . هولندا، ط1، 2003م:31 ومقال بعنوان (السيد حيدر الحلي _ سيرتهُ في ابداعه الشعري) نجاح هادي كبة، جريدة الزمان، 15/ تموز، 2017.

(10) يُنظر: ديوانه: 1/ 15. 16.

(11) يُنظر: الشعرية: تزفتان تودوروف ، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، المغرب، ط!، 1987م: 10.

(12) يُنظر: اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي: محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1993م: 26.

(13) جِرْس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، 1980 م: 177.

(14) يُنظر: اللغة والإبداع . مبادئ علم الأسلوب العربي .: شكري محمد عياد، ط1، 1988م: 77-78.

(15) يُنظر: في الأدب والنقد: د. محمد مندور، مط: لجنة التأليف والترجمة، 1317هـ . 1952م:17.

(16) يُنظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1988م: 235.

(17) يُنظر: ديوانه: 13.

(18) يُنظر: تجاربي مع المنبر: د. أحمد الوائلي، دار الزهراء، بيروت _ لبنان، (د. ط): 228.

(19) الديوان: 63. الورقاء: الحمامة. وجدت: البين. أرضٌ مسومةٌ: أصابها الوسمي. وهو مطر أول الربيع. الحيا: المطر. الجرعاء: الرملة التي لا تنبت شيء. الأراكة: نوع من الشجر تُصنع منه السواك. ينظر: المعجم الوسيط، خرّجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، مكتبة الرضوى، مط باقرى، ط2، 1427هـ: 1/ 14.

(20) الديوان : 97.

(21) الديوان: 1/ 130. الغَيرة: الحمية والأنفة.

(22) واضح من تأثر السيد حيدر بقصيدة الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات في قصيدته التي ذكر فيها قتل مصعب بن الزبير ومصيبة الحسين . عليه السلام .:

إنَّ الرَّزيةَ يومَ مَسْ كَنَ والمُصيبةَ والفجيعةْ

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت _ لبنان، 1958م.

(23) الديوان: 1/ 150.

(24) قول الشريف الرّضي: **متى أراني وَدرعي غيرُ مُحصِبةٍ أجرُّ رُمحي وسيفي غيرَ مقروبِ.**

ديوان الشّريف الرّضي: محمد بن الحسين الموسوي (406هـ) دار صادر، بيروت _ لبنان، 1961م، 61/1.

(25) يُنظر ديوان السيد حيدر الحلي على سبيل المثال: 129، 133،131، 134، 136، 139، 142.

(26) الديوان : 65

(27) سورة البقرة / 31.

(28) يُنظر: الديوان على سبيل المثال: 67،

(29) الديوان : 66. طرق القوم: جاءهم ليلاً ، سالبة البهاء: تورية عن المنية، قطب: روى ما بين عينيه وعبس وكلح، البشر: الطلاقة عكس التقطيب،

(30) الديوان : 138 _ 139. السَّجُف: الستر. يُنظر: المعجم الوسيط 1/ 417.

(31) ينظر الديوان على سبيل المثال: 86، 113، 87، 137.

(32) الديوان: 141. العرانين: أعزة أُباة، عرانين القوم: ساداتهم: وأشرافهم. المعجم الوسيط: 2/ 597. يبدو أنَّ الشاعر في بيته الرابع متأثراً بقول كعب بن زهير:

شَمُّ العرانينِ أبطالٌ لَبوسُهم من نسجِ داودَ في الهيجا سَرابيلُ.

ديوان كعب بن زهير: رواية ابي سعيد السكري، شرح نخبة من الأدباء، دار الفكر، بيروت _ لبنان، 1968م: 13

(33) ينظر الديوان على سبيل المثال: 124، 106، 88،89، 90،99، 100، 104، 105.

(34) الديوان: 124. النّقع: الغبار.

(35) يُنظر: بنية اللغة الشعرية : جان كوهين، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1986،1 م: 49.

(36) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: د. قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة ، بغداد، 1988م: 217.

(37) الديوان: 106 وينظر المصدر نفسه على سبيل المثال: 112، 119.

(38) الديوان : 123 _ 134. اتئد: تأنّى.

(39) سورة التكوير / 1.

(40) الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م: 249.

(41) الديوان : 157.

(42) ديوان : 167.

(43) الديوان : 79. نِزار بن معد بن عدنان من سلسلة النسب النبوي الشريف إلى هنا انتهت أنساب العرب. السَّوم كثرة المرِ. الطِّراد: هو من طراد الخيل، وهو عدوها وتتابعها.

(44) تراجيديا كربلاء _ سوسيولوجيا الخطاب الشعري _: إبراهيم الحيدري، دار الساقي ، بيروت _ لبنان، ط1، 1999م: 308.

(45) الديوان : 139.

(46) يُنظر: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر: إبراهيم الوائلي، مطبعة المعارف، بغداد، ط2، 1978م: 227_ 229.

(47) يُنظر المصدر نفسه: 231.

(48) الديوان : 124 _ 125.

(49) الديوان : 99_100.

(50) كتاب الفتوح: للعلامة ابو محمد بن أعثم الكوفي (ت 314ه) دار الندوة الجديدة، بيروت _ لبنان، ط1، 2002: 5/ 33. ومناقب آل ابي طالب: ابو جعفر بن شهر آشوب (588ه) مط العلمية، قُم . إيران (د.ت): 89/4.

(51) سوسيولوجية الأدب _ دراسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع _: د. قصي الحسيني، دار البحار، بيروت _ لبنان، ط1، 2009: 20.

(52) الديوان: الديوان 99. التباريح: الشدائد. وجيب: من وجب القلب وجيباً أي خفق واضطرب.

(53) الديوان: 129.

(54) البيان والتبيين: ابو عثمان الجاحظ (255ه)، وضع حواشيه: موفَّق شهاب الدِّين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط2، 2003م: 55/1.

(55) يُنظر الموسوعة الفلسفية: لجنة من العلماء والاكاديميين السوفيت، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة، ط5، 1987م، 278.

(56) النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربية، ط4، 1969م: 443.

(57) الديوان: 159. الرجل الركين: الساكن الوقور. ثهلان: جبل معروف.

(58) الديوان: 119.

(59) الديوان : 123 _ 124. العارض: السَّحاب المُطل يعترض في الأفق، والنقع: الغبار.

(60) يبدو تأثر الشاعر بقول بشار بن بُرد:

كَأَنَ مَثارَ النَّقْعِ فوقَ رؤسِنا وأسيافَنا لَيلٌ تَهاوى كواكِبُهْ

ديوان بشار بن برد: اعتناء السيد محمد العلوي، نشر: دار الثقافة، بيروت _ لبنان، 1981م.

(61) الديوان : 113.

(62) الديوان: 91.

(63) الديوان: 139.

مصادر البحث ومراجعه:

1. أُدباء حليون: د. أحمد جواد علوش، منشورات عويدات، بيروت _ باريس، ط1، 1978م.
2. أدب الطّف (شعراء الحسين): جواد شُبّر، مؤسسة التاريخ، بيروت _ لبنان، ط1، 2001م.
3. أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: المستر ستيفن همسلي لونكريك، نقلهُ إلى العربية: جعفر الخياط، مكتبة اليقظة العربية، بغداد _ العراق، ط1، 1985م.
4. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: د. قيس الأوسي، بيت الحكمة، بغداد، 1988م.

5. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان، ط5، 1980م.
6. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت 1371هـ) تح: حسن الأمين، دار المعارف، بيروت _ لبنان (د.ت).
7. بنية اللغة الشعرية: جان كوهين، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، المغرب، ط19986،1م.
8. البيان والتبيين: ابو عثمان الجاحظ (ت 255هـ) وضع حواشيه: موفّق شهاب الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، ط2، 2003م.
9. تراجيديا كربلاء _ سوسيولوجيا الخطاب الشعري _: إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت _ لبنان، ط1، 1999م.
10. جِرْس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، 1980م.
11. ديوان بشار بن برد: اعتناء السيد محمد العلوي، دار الثقافة، بيروت _ لبنان، 1981م.
12. ديوان السيد حيدر الحلي: تح: مضر سليمان الحلي،، شركة الأعلمي، بيروت _ لبنان، ط1، 2011م.
13. ديوان الشريف الرّضي: محمد بن الحسين الموسوي (ت406هـ) دار صادر، بيروت _ لبنان، 1961م.
14. ديوان عبيد الله بن قيس الرُّقيات، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت_ لبنان، 1958م.
15. ديوان كعب بن زهير: رواية ابي سعيد السُكري، شرح: نخبة من الأدباء، دار الفكر، بيروت _ لبنان، 1986م.
16. السيد حيدر الحلي شاعر عصره: د. حازم سليمان الحلي، مط: أكرم روتردام، هولندا، ط1، 2003م
17. سوسيولوجية الأدب _ دراسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع_: د. قصي الحسيني، دار البحار، بيروت _ لبنان،ط1، 2009 م.
18. الشعرية: تزفتان تودوروف، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، المغرب، ط1978،1م.
19. شُعراء الحلة أو (البابليات): الشيخ محمد علي اليعقوبي (ت 1385هـ) دار البيان، قم _ إيران، (د.ت).
20. الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر: إبراهيم الوائلي، مط: المعارف، بغداد، ط2، 1978م.
21. الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين الصغير، دار الرشيد، العراق، 1981م.
22. علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1988م.
23. في الأدب والنقد: د. محمد مندور، مط: لجنة التأليف والترجمة، 1317هـ _1952م.
24. كتاب الفتوح: العلامة ابو مجمد بن أعثم الكوفي(ت 314هـ) دار الندوة الجديدة، بيروت _ لبنان، ط1، 2002م.
25. اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي: محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1993م.
26. اللغة والإبداع _ مبادئ علم الأسلوب العربي _: شكري محمد عياد، ط1، 1988م.
27. المعجم الوسيط: خرّجهُ إبراهيم مصطفى وآخرون، مكتبة الرضوى، ط2، 1427هـ.
28. معجم المؤلفين: محمد رضا كحالة، دار احياء التراث العربي، مكتبة المثنى، بيروت _ لبنان، (د.ت)
29. مناقب آل ابي طالب: ابو جعفر بن شهر آشوب، (ت588هـ) مط العلمية، قُم _ ايران، (د.ت)
30. الموسوعة الفلسفية: لجنة من العلماء والاكاديميين السوفيت، ترجمة: سمير أكرم، دار الطليعة، ط5، 1987م.
31. النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال، دار النهضة العربية، ط4، 1969م.
32. نهضة العراق الأدبية في (القرن الثالث عشر للهجرة): د. محمد مهدي البصير، دار الرائد العربي، بيروت_ لبنان، ط3، 1990م.